

الشعر الجزائري المهاجري القضية والجمالية قراءة في تجربة الشاعر "عمار مرياش"

د. علاوة كوسة

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف – ميلة (الجزائر)
koussaallaoua@yahoo.fr

مقدمة:

إن المتتبع للمنتج الشعري الجزائري المهاجر، يحس بجمله المتميز والثقيل وذلك لجمعه بين شطري التشكيل الشعري وهما: القضية والجمالية، لقد ركزت الكتابات الشعرية المعاصرة للشعراء الجزائريين المعاصرين على قضايا عديدة تتعلق بالراهن بكل ثوابته ومتغيراته ولعل أبرزها قضايا الوطن، والغربة والحنين، وجدل التاريخ وسلطة الجغرافيا، بوصف الشعراء المهاجرين يعيشون جدل الثابت التاريخي المرجعي والمتحول المكاني الجغرافي، وبينهما تبلور التجارب الشعرية التي تشع موضوعات متنوعة وذوات متشظية بقضايا تنكتب شعريا، وذلك بأدوات فنية تجعل من القضايا تأخذ أشكالها الجمالية التي تجسدها جماليات القصيدة الجزائرية المهاجرة المعاصرة، ومنه فإن مقالنا سيبحث في إشكاليات الشعر الجزائري المهاجر بين القضية والجمالية مجسدا في نموذج شعري معروف ويمثل قامة شعرية جزائرية منذ عقود ونقصد تجربة الشاعر الجزائري المغترب بفرنسا "عمار مرياش" منطلقين في بحثنا من :

الإشكاليات المفتاحية :

- ما خصائص القصيدة الجزائرية المعاصرة المهاجرة؟
- ماهي أهم القضايا التي تطرقت إليها؟
- لماذا تشظت الذات الشاعرة المهاجرة بين موضوعات تتمحور حول الغربة والحنين ومشتقاتهما؟
- كيف صور الشاعر الجزائري المهاجر وطنه في غربته؟ وإلّا يحنّ؟ ولم يشعر بالغربة؟
- ما تجليات التاريخي في النص المهاجر؟ وما سلطة الجغرافي/ المكاني فيه؟
- ما جماليات الكتابة الشعرية المهاجرة من خلال الأعمال الشعرية لعمار مرياش؟
- ما الظواهر الأسلوبية الغالبة في شعره؟
- ما التوازنات الموضوعاتية الجمالية التي شكلت النص المهاجر عند مرياش؟

هذه وتفاصيل أخرى عن الكتابة الشعرية بين القضية والجمالية في شعر عمار مرياش سنتناولها بالتتابع الدقيق والتفصيل الجاد خلال هذا البحث.

الأدب المهاجروالالتزام بقضايا الوطن:

أولاً- الالتزام كظاهرة أدبية:

لا يقتصر الالتزام كظاهرة أدبية على أمة دون أخرى ، و لا على مجتمع أدبي دون آخر إذ أنّ "فكرة الالتزام معروفة في الآداب الأوروبية و كثر حولها النقاش في أدبنا العربي الحديث و المقصود من هذه المسألة هو أن يكون الاتصال وثيقاً بين الأدب و بين قضايا مجتمعه"¹، و راح كثير من الدارسين يحاولون ضبط مفهوم الالتزام ، و الأدب الملتزم ، و الأديب الملتزم خصوصاً، " فأدب الالتزام كما يعرفه الجميع هو أدب رسالة توجيهية ، أي أدب يهدف إلى توجيه قرائه نحو التجاوب مع الطبقة المحرومة التي ينتمي إليها الأديب نفسه"²، و من هنا ندرك أن العلاقة بين الأديب و المجتمع الذي يعيش فيه هي من يحدد مدى التزام الأدب من غير ذلك ، و هو حديث عن التزام موضوعاتي صريح، خارج النص الأدبي تماماً.

يعدّ محمد مصايف أن الأدب رسالة، و أن "رسالة الأديب الملتزم تفرض على أدبه أن يكون أكثر وضوحاً، و من ثمّ أقرب إلى نفوس القراء"³، و هو في ذلك يعاضد عبد الرزاق مصباحي في طرحه، و يبني تمثله للالتزام بأطراف المعادلة التي لا تلغي: الأديب و أدبه كرسالة من جهة ، و المجتمع الذي نكتب عنه منطلقين منه إليه، مشترطاً الوضوح الذي قد يتنافى مع سمة الغموض الجمالية الفنية التي طبعت النصّ العربي المعاصر و الجزائري خصوصاً، غير أن رسالة الأديب بتصور -مصايف- تبدو مثقلة بالمحمول الاجتماعي الذي قد تلغي الفنيّ الجماليّ.

و إذا كان هذا حال الأدب الملتزم في مفهوم الدارسين فإنّ الأديب الملتزم ملزم بمشاركة الناس همومهم الاجتماعية و السياسية، و مواقفهم المختلفة ، و "ندعو كاتباً أو مؤلفاً ملتزماً كل مبدع يتّخذ من الأدب وسيلة مغايرة الغائية، حيث تتراجع عنده أهمية النسيج و التكتيف الجماليين لعمله، لصالح الحمولة الدلالية التي يكتنزها، فمضمون الرسالة التي يؤدّ إيصالها أسبق على الرسالة نفسها"⁴ و من هنا يتبيّن عدم التكافؤ بين طرفي العمل الأدبي ، إذا الالتزام من هذا المنظور يرجح كفة "المضمون" على "الشكل" ، و نهمل الفنية بشكلٍ ما ، يرى "أحمد طالب" أن "الأدب الملتزم هو الأدب الذي يسعى إلى توجيه الجماهير إلى واقع اجتماعي و أدبي أفضل"⁵ في حين يعارضه الفكرة "محمود تيمور" عن رسالة الأدب و الأديب بقوله: "لا يتّخذ من كتابته بوقاً يعلو به صوت مسوق إليه محمول عليه"⁶ و هو نفي صريح لأن يقيد الأديب قلمه ، و فكره، و فنّه و يخلصه لطرف/ جهة ما فيغتال فيه الإبداع و الجمالية تماماً.

غير أن "أنور المعداوي" لا يرى الأديب الناجح إلاّ ذاك الذي اعتنق هموم أمّته و مشكلات عصره في تجاربه الاجتماعية الإبداعية " حين " ترتكز هذه التجارب في بؤرة العدسة اللاقطّة، لتبرز موقف الكاتب من مشكلات عصره"⁷، و يأتي موقف "لوسيان غولدمان" في نفس هذا الطرح الذي يرى في أن الظاهرة الأدبية معطى اجتماعي

لا ريب فيه، و التزام بكل تداعياته لأن الأدب تفكير و رؤيا و" كل تفكير في العلوم الإنسانية إنما يتم داخل المجتمع لا من خارجه"⁸، وكأنما ترد كل هذه الطروحات النقدية من دون تلميح إلى الجانب الفني للالتزام إنما ركزت على مضامين موضوعات الرسالة الأدبية، وقد ذكر ذلك "أنور المعداوي" في كتابه خصائص الأدب العربي في معرض حديثه عن الأخلاق كركيزة أساسية في بنية النص الأدبي و تأثير النظرة الدينية في ذلك حيث يقول: "وتقوم الأخلاق في الأدب العربي على مواجهة الإباحية و الكشف، فالفكر الإسلامي لا يقرّ الأدب المكشوف و لا الأدب الجنسي و يقدم الأخلاقية على الجمالية"⁹، و بالمقابل فإن هناك طروحات خطيرة أخرى تتخذ من الالتزام إلزاماً إن موضوعاتيا أو فنياً، فهذا "الطاهر وطّار" يرى أن "المثقف مناضل ملتزم بقضايا الجماهير بالدرجة الأولى"،¹⁰ أما "جيلالي خلاص" فيطالب بأدب ملتزم يخدم قضايا المجتمع و يرفض الأدب العابت"¹¹، و الأخطر من كلّ هذا أن يحكم الدكتور "محمد مصايف" على "الأديب الذي يفتقر إلى الشعور بهذه العلاقة الجدلية بينه وبين المجتمع (هو أديب) يفتقر إلى أول شرط للإبداع"¹²!؟

و يتجسد هذا الخروج الصارخ عن مفهوم الالتزام إلى صيغة الالتزام في قول مصايف ثانياً: "إنّ مطالبة الأديب بالتعبير على المستوى الحضاري لأتمته أمر جوهري (...). بل إن عدم قيام الأديب بهذه الرسالة يخرج من طائفة الأدباء الذين تعتزّ بهم الأمة العربية"¹³!؟ و منذ متى كان عدم الالتزام بآخر ما خارج حدود النص الأدبي فنيا هو خروج من ملّة اجتماعية!!

ولا يتوقّف الإلزاميون عن تحميل الأديب مزيداً من الرسائل و القضايا اجتماعيا، محليا و وطنيا، بل راحوا يوسعون له المجالات أكثر و أكبر فهذا "أحمد طالب" يجعله لسانا ناطقا للإنسانية جمعاء و لو على حساب فرديته/ذاتيته إذ يقول: "إن الأدب الملتزم –فيما أرى- هو كل أدب يقف إلى جانب الإنسان لا فرداً منعزلاً، و إنما ممثلاً للإنسانية كلّها"¹⁴.

و أعتقد أن الدكتور "محمد مصايف" يرى اللغة قيداً، و حائلاً بين المبدع و الإبداع تماماً، حين راح يقترح لغة معيارية نمطية لكل أديب حتى ينسج نصّه وفقها و دعا إليها بصريح النية و الغاية قائلاً: "وندعو إليها، و نراها أصلح بالمرحلة التي تمرّ بها بلادنا هي اللغة الفصحى المبسّطة، و لسنا نقصد بها لغة الصحافة، أي لغة الأخبار والتحقيقات الصحفية، و إنّما نريد لغة مبسّطة في ألفاظها و أسلوبها و رموزها"¹⁵. و هو إلزام بعيد عن الطرح الأدبي السليم، و يفتقر إلى الرؤية الجمالية العميقة، و الرؤيا الإبداعية في وطن كالجزائر كان يرنو إلى مشهد أدبي حقيقي، مهما كانت المبررات الاجتماعية و السياسية و الإيديولوجية المسيطرة على البلاد حينها. وعلى العكس من طرح مصايف نجد أن محمود الربيعي يلطّف من وقع الالتزام كفرض و إجبار و قيد، حيث جعل منه – بشقيّه الموضوعاتي و الفني- ردّاً للجميل من أديب لآخر هو المجتمع، الوطن، فيرى أن هذا الأديب "يقدم لهذا المجتمع صورة تنتزع عناصرها من حياته اليومية وهي صورة فنية دالة على أن الشاعر وعى دقائق هذه الحياة، ودالة كذلك على أنه ذو قدرة على التشكيل الجمالي، و هو من ناحية أخرى يضيء للمجتمع الطريق السويّ للمستقبل"¹⁶.

ثانيا- الوطن وقضاياها في شعر عمار مرياش:

لقد كان الوهج الشعري أشدّ و أعمق و أجمل حينما يكون المشترك الوطني و الهوية و المحلية هي الركائز التي يستند إليها المقول الشعري ، لأنها ثوابت تحرك ذوات الشعراء و توقد فيهم القرائح الشعرية، ولقد تجسد ذلك في كتابات عمار مرياش الشعرية كثيرا حيث تناول قضايا وطنه بعمق واهتمام وحرقة بوصفه يعيش بعيدا عن مسقط القلب -الجزائر - والمتتبع لكتاباته يجد انه كان متتبعا دقيقا ودائما لكل تفاصيل وطنه وقضاياها وقارئا جيدا لمراحله المختلفة ، ولمح إلى ذلك جمال بلعربي في تقديمه لديوان " اكتشاف العادي " في قوله: "إنه عنوان لتجربة في الكتابة الشعرية تحمل في طياتها صيغة جريئة لسؤال النص الجزائري في هذه المرحلة وتقترح إمكانية الانتقال إلى مرحلة جديدة، وتتأكد قصيدة الاختيار من إصرار الشاعر على الاختصار في هذه المجموعة على قصائد كتبها خلال سنة 1993 وقدمها في ترتيب دلالي لا يخضع للتسلسل الزمني، كطريقة لتأطير تجربة واعية لها إشكالياتها ولها أسئلتها، بعيدا عن الاستفهام المرتجل وضد الانفعال السلبي".¹⁷، كما أكد المقدم على ضرورة قراءة الأعمال الشعرية لعمار مرياش وخاصة في هذا الديوان في سياقاتها التاريخية التي استهدفت مراحل دقيقة حساسة في تاريخ الجزائر خاصة بعد أكتوبر 1988 وما تلاه من تغييرات جذرية في خارطة الوطن السياسية والاجتماعية والتي عاشها الشاعر عن قرب وجداني مهما كان بعيدا جغرافيا، " لذلك تحتاج قراءة "اكتشاف العادي" إلى بعض المقدمات الضرورية لوضع المجموعة في سياقها التاريخي، الأدبي والفني".¹⁸

ومثلما كانت هناك تغيرات في الواقع المعيش على أصعدة مختلفة فقد كانت هناك هزات فنية كبيرة في الخط الفني الشعري للشعراء ومنهم عمار مرياش الذي انحرف فنيا ولم يكتب العادي فراح يخط للتجريب ويفتح له أبوابا فنية كثيرة" لكن عمار مرياش الذي يقوم بتكسيروها الآن، سبق له أن انتزع الاعتراف من القارئ خلال تظاهرات ومنابر أدبية عديدة، ولذلك لا يجرؤ المعلقون على اتهامه بالسقوط حتى وهم يجدون شعره مفارقا للذائقة المكرسة. فكيف يتصرف القارئ أمام مثل هذا الموقف؟. إنه أمر في غاية البساطة، فتلك الحيرة هي التي يبحث عنها الشاعر كخطوة أولى لاقتراح نصه الجديد. لقد قال لي إثر أمسية أقيمت يوم 1993.04.07 بقاعة اتحاد الكتاب الجزائريين، حيث احتار الجمهور بين أن يصفق مجاملة أو ينصرف مفاجأة: هذا ما كنت أبحث عنه"¹⁹، وقد اعترف مرياش بهذا الانزياح الفني الذي تمليه انحرافات كثيرة واقعية انعكست على تجربته الشعرية فجاءت مقاطع كثيرة من شعره مصرحة بذلك:

"لومزقت ثيابي وبكيت

فإن الوضع سيبدو عاديا جدا

وسأبدو مظلوما للغاية

والنقاد سيثنون على حسي المرهف.

أما والفرحة تغمرني

وأنا أغزل خيط النور وأحفر نبعي

فأنا لا شك تغيرت

وصرت: بليدا"²⁰

لقد ظل عمار مرياش في غربته يكتب وطنه وينكتب عاشقا له ملتزما بقضاياه متابعا تفاصيله خاصة في ديوانه اكتشاف العادي حيث "لم يكن اختيار قصائد "اكتشاف العادي" كما هي عادة المجموعات الشعرية حيث يقف الشاعر بعد سنوات من الكتابة ليختار عددا من النصوص يرى إمكانية نشرها في ديوان واحد بعنوان واحد، بل إن مجموعة عمار مرياش تجربة في الكتابة بدأت بأسئلة واضحة حول النص الأدبي الجزائري وحول إشكاليته الراهنة، كانت نتيجتها مجموعة من النصوص تتميز عن تجاربه السابقة."²¹، ورغم صعوبة المرحلة التي كتب عنها فقد استطاع ان يفلت من السائد الشعري الذي كان يشكل المشهد الشعري الجزائري، وفرض كتاباته على كثير من المؤسسات المكلفة بالنشر التي ما كانت لتغامر في نشر أعمال تتطرق تلك المرحلة "إن مجموعة "اكتشاف العادي" قد أفلتت من رقباء مؤسسات النشر قبل الأوان ولذلك تبقى نصا محاطا بكثير من الاستفهامات والتحفظات في انتظار أن يستعد القارئ له وفي انتظار أن يستعد الناقد – ربما – لتحويل المفارقة المترتبة عليه إلى صيغة واضحة التفاصيل لكي يبدأ حساب مرحلة جديدة في تاريخ الأدب الجزائري"²².

ثالثا- بين الغربية والاعتراب/جدل التاريخ والجغرافيا:

ألقت الغربية المكانية بظلالها على الذات الشاعرة فارتسمت ملامح الاعتراب واضحة في الشعر الجزائري المهاجر - ومنه شعر عمار مرياش- الذي جاءت كثير من نصوصه لمحة للغربة صراحة باعتراب وفقد اتجاه الوطن فكانت الذات الشاعرة تتكى على كثير من مقولات العارفين والفلاسفة والنسك لتؤانس تفاصيلها وتلملم شتاتها ومن ذلك ما استحضره عمار مرياش في "قصيدة مرآة للمهاتما:

"حَدِّقْ فِي مَرَاتِكَ تَدْرِكُنِي

أَنَا أَنْتَ تَأْمَلُنِي فِي صَفَحَاتِ النُّونِ الْهَادِي

اسْمَعْنِي حِينَ تَكُونُ وَحِيدًا فِي اللَّيْلِ

تَعْلَمُ مِنِّي الْوَهْمَ وَعَلِمَنِي الْحِكْمَةَ

أَنْتَ حَبِيبِي وَأَنَا عَبْدُكَ"²³

تنقل إلينا قصيدة "احتفال المفرد" صورا عميقة للاغتراب وتشئت الفكر وتشظي الذات في شعر عمار مرياش وهو يشعر بالوحدة وافتقاد الذوات التي تؤانس وحشته:

فِي تَفَاكِهِ أَشْيَانِنَا

فِي تَغَافُلِنَا السَّهْوِ مُنْدَمِّجِينَ بَلْغَنَا الضَّرُورَةَ

لَا أَنْتَبِي مِنْكَ

وَحْدِي مُحْتَفِلًا وَسَعِيدًا، لَقَدْ

كُنْتُ مُمْتَلِنًا بِكَ

يَجْتَرُّ جِسْمَكَ زِنْدَايَ

مَنْهَكَةً فِي النُّعَاسِ - الْحَجَلُ

و مَثْقَلَةً بِالْحَنَانِ، لَقَدْ

هَدَّنِي الشَّوْقُ، وَ

الشَّيْخُ أَذَّنَ لِلْفَجْرِ، وَالنَّاسُ نَامُوا...

فَمِنْ أَيْنَ أَبْدُ

لَا عِلْمَ، لَا تَجْرِبَةَ

وَإِنِّي أَخَشَى ارْتِكَابَ الْخَطَا

فِي الرُّكُوبِ الْخَطَا"³⁶

تأتي بعض النصوص الأخرى لتؤكد اغتراب الشاعر خاصة في المناسبات والمواسم حين يحتفل بها وحيدا منتظرا ومن ذلك ما ورد في قصيدة "أزهار لرأس العام"

"مُدَّ صَادِفْتُكَ أَوَّلَ مَرَّةٍ

وَأَنَا أَجْمَعُ أَجْمَلَ أَزْهَارِ الرَّيْفِ

لأهديها لك

أضبطُ عُودِي لأغنيكِ

لقد صرتَ سعيداً جداً

واليوم

عشيّة رأس العام

ومنتظراً مرآك

وحيداً كالتمثال

و منبؤداً كالفكرة تحت حزام الأرض

تأملتُ²⁵

تبحث الذات الشاعرة عن كينونتها وسط تشظّ رهيب بين تجاذبات الجغرافيا والغربة المكانية وبين ارتباط
بالتاريخ والوطن كما جاء في قصيدة "مرآة للمهمات"

" أنتَ المفردُ والمتعَدُّ

أنتَ السائلُ والواهبُ

أنتَ المفرحُ والمحرزُ

أنتَ النسبيُّ المطلقُ والعدميُّ

ولستُ سواك

كلانا الآية والمرآة²⁶

مثلاً تميز عمار مرياش عن غيره في بنياته النصية من خلال تجربته الشعرية وانزياحاته الفنية فقد صور
لنا من خلال نصوصه تميزه في التعلق بقايا وطنه وأنه لم يكن عادياً في تناوله القضايا التي يعرفها الجميع وبهذا
التميز عده البعض مذنباً ولكنه يعترف في قصيدة "انتباه المذنب":

"لو مرّقت ثيابي وبكيت

فإنّ الوضع سيبدو عادياً جداً

وسأبدو مظلوماً للغاية

والنقاد سيثنون على حسي المزيف

أما والفرحة تغمرني

وأنا أغزل خيط النور وأحفر نبعي

فأنا لا شك تغيّرت

وصرت: بليداً"²⁷

وبرغم ذلك يظل الشاعر يبحث عن فرحه الأبدي الخالد:

"لقد قصرت/وقصرت/وقصرت/لقد قصرت كثيراً/كوني حتى اللحظة/لم أمنحك الفرح اللاّ مخدود"²⁸

وكل ما في المقاطع يدعو للفرح والامل برغم الخوف على الوطن والاهتمام به دوماً والتزق الداخلي للشاعر بين الضفتين:

"واللحظة لا أعرف ماذا يحدث لي/يملأني طيفك في البعد/ولا يكفيني أن أتمزق بين أصابعك المتهبة"²⁹

ومن أقصى صور الخوف وتمزق ما ورد من نصوص عمار مرياش التي نقلت بعضها من تفاصيل العشرية السوداء التي مرت بها الجزائر لكنها تخرج منها سالمة معافاة كما جاء في قصيدة "احتفال المفرد":

"منتشراً في المتاهة/يا للفضاعة.. شيءٌ مُثيرٌ/عتبه الزهراء على طيشه/وهي تمتصه بالقبّل/الهي.. ستغرقي فرحاً/لا قلاع ولا فلّك لي/إنني إذ تورطت/قد أتبعثر في النور من شدة العتمة/لا مبرر لي/سنّة الوقت/الوقت ليس صديق الذي/يتزوّد من قوّة الكلمة

إنّه أجلي يتعمّى إليّ/وأني أتجهت أدار طريقي إليه/أتركوني عليه"³⁰

تلکم العشرية التي كاد يستحيل فيها على الجزائريين الفرح والحب بعدما طال ليلها وكثرت مأسها كما جاء في قصيدة-إقليم المبتدئ-

"انْتَصَفَ اللَّيْلُ قَلِيلًا/مَا زَالَ شَهيقُ فَرَاخِكَ يَدِهْشِنِي/يُنِيرُ رُودِي الحَمَقَاء/و إِنَّ بَقَاءَكَ حَيًّا هُوَ مِنْ قَبْلِ الصُّدْفَةِ

إِذْ تَكْسِيرُكَ يَبْدُو سَهْلًا جَدًّا/مَعَ هَذَا تَتَقَدُّ اللَّحْظَةُ/أَكْثَرُ مِنْ ذِي قَبْلِ/لَأَنْتَ تَحْرِضُنِي ضَدَّ بَهَائِكَ/إِنْتَصَفَ اللَّيْلُ تَمَامًا

أَعْرِفُ أَنَّ الْبَحْرَ يَكُونُ سَعِيدًا أَكْثَرَ/حِينَ يُحَاصِرُهُ الْمَلَأْخُونُ/وَلَكِنْ، وَضَعَكَ مُخْتَلَفٌ/إِنَّكَ تَبْكِي/هَلْ سَبَبْتُ لَكَ الْأَلَمَ الْأَكْبَرَ

هَلْ صَرْتُ عَدْوُكَ مِنْ فَرَطِ الرَّغْبَةِ؟/إِنْتَصَفَ اللَّيْلُ كَثِيرًا/إِنَّكَ مَرْتَاخٌ جَدًّا/أَفْهَمُ هَذَا مِنْ عَيْنِكَ/فَمَنْ غَيْرِي أَسْعَدُ مِنِّي

هَلْ أَرْنِي لِمَلُوكِ الثَّرْوَةِ/وَالْمَسْكُونِينَ بَدَاءِ الْعِظَمَةِ؟"³¹

"لَمْ نَزَلْ نَتَقَابِلْ سِرًّا/مَخَافَةً أَنْ يَلْتَقِينَا أَخُوكِ/وَإِنِّي/عَلَى الرَّغْمِ مِنْ كُلِّ هَذَا سَعِيدٌ/وَإِنِّي أَرَى/وَ أَرَى/وَأَحَارُ

وَلَمْ يَكْفِنِي جَسَدِي لِاحْتَوَانِكَ/إِنِّي حَزِينٌ كَثِيرًا لِهَذَا/وَلَمْ تَكْفِنِي لُغَتِي/فَاتَّخَذْتُ الْغَنَاءَ

وَلَمْ يَكْفِنِي.فَرَقِصْتُ/وَلَمْ يَكْفِنِي/هَا رِجَالُكَ يَنْدُبْنَ/وَالْفَاتِنَاتُ اشْتَغَلْنَ بِهَاءٍ/وَهَيَّانَ عَنَفَ فَوَاكِهِنَّ/لَسَّهَوِ احْتِمَالَاتِهِنَّ/وَهَآنَا/أَتَخَبَّطُ كَالْحُوتِ فِي الشَّبَكَةِ/أَدَّعِي اللَّامْبَالَةَ فِي/أَخْطَرِ اللَّحْظَاتِ هُوَ/حِينَ يُبْتَرُّ رُشْدِي وَتَأْسُرُنِي الْمَلِكَةُ/حِينَ يُهْرِنِي/صَمْتُكَ الشَّبَقِي"³²

رابعاً: النص/الأزمة والالتزام.

فضلت في هذا العنصر الأخير أن أورد نماذج شعرية لعمار مرياش تبين فعلاً كيف أن النص الشعري يواجه الأزمة بوصفه معادلاً موضوعياً للواقع الجزائري المعيش في مراحل صعبة من تاريخه، وكيف أن الالتزام بقضايا الوطن يزداد كلما هبت العواصف على هذا الوطن الأمين كما ورد في قصيدة "طقوس العشيرة"

أَقَامُوا لَهُ فَرَحًا فَائِقًا

جاء أصحابه و أقاربه بالهدايا الثمينة

و احتفلوا

بَادُلُوهُ التَّهَانِي

النِّسَاءُ افْتَحَرْنَ كَثِيرًا

وَرَدَّدْنَ كُلَّ مَزَايَا الْعُرُوسِ

الَّتِي حَفَظَتْهَا الْعَشِيرَةُ مِنْذُ الْأَزَلِ

الرِّجَالُ بَدُّوا حَازِمِينَ

وَأَمَّا الشَّبَابُ

فَقَدُوا وَاصِلُوا الرِّقَصَ حَتَّى الصَّبَاحِ

الْجَمِيعُ تَظَاهَرُوا بِالْفَرَحِ

إِلَّا هُوَ

ظَلَّ يُحَدِّقُ فِي هَدَفٍ غَامِضٍ

وَبَدَأَ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ بِالْفَرَحِ

أَقَامُوا لَوَالِدِهِ مَأْتَمًا لَأَيْقَا

جَاءَ أَصْحَابُهُ وَأَقَارِبُهُ فِي ثِيَابِ الْحَدَادِ

بَادُلُوهُ التَّعَازِي

النِّسَاءُ نَدَبْنَ كَثِيرًا

وَرَدَّدْنَ كُلَّ مَزَايَا الْفَقِيدِ

الَّتِي حَفَظَتْهَا الْعَشِيرَةُ مِنْذُ الْأَزَلِ

الرِّجَالُ بَدُّوا صَابِرِينَ

وَأَمَّا الشُّيُوخُ

فقدُ غَرَفُوا في التَّراتيلِ حتَّى الصَّبَّاحِ

الجَمِيعُ تظاهَرُ بالحُزنِ

إِلَّا هُوَ

ظَلَّ يَحْدِقُ في هَدَفٍ غامِضِ

و بدأ غير مُكثَرٍ بالوفاة³³

كما يبدي الشاعر تمسكه بوطنه وهويته مهما تغرب وهاجر فإن معالم هويته تبقى ثابتة دوما ومهما شعر بخيبات امام الآخر حينما يخذله أبناء عمومته وأهله فيقول في قصيدة "أبناء الأعيان":

"جَدِّي مِنْ أَعْيَانِ العَرشِ

مَلَكْنَا - لَا أَعْرِفُ كَم شاة -

و أَرَا ضِي شاسِعَةً جَدًّا

لَكِنَّ جَرادًا أَسودَ هِيئًا لِلْفَقَرِ

في سَنَوَاتِ الطَّيِّشِ

صَحبتُ كَثِيرًا مِنْ أبناءِ الأَعْيَانِ

و فَاخَرْتُ بِهِم

كَأَنَّا يَبْتَهِجُونَ لِمَرَايِ

و يَثْنُونَ عَلَيَّ

و كُنَّا نَسْهَرُ حتَّى الفَجْرِ

و اليَومِ، و قد ماتَ أَبِي

و تَقاسَمَ أَعْمَامِي الأَرْضَ

"وَأُمِّي أَغْوَاهَا الشَّيْطَانُ"

أَعْرِفُ أَنْذَالَ لَا حَصْرَ لَهُمْ

يَتَمَنُّونَ لِي الْمَوْتَ

وَيَبْتَهِجُونَ لِلْأَمِي

يَا لِلْأَحْقَادِ الْمُبْتَذِلِينَ

لَقَدْ خَيَّبْتُمْ أَمَلِي

كَيْفَ أَفَاخِرَ أَعْدَائِي الْمُحْتَمِلِينَ بِكُمْ

مَا دُمْتُمْ لَسْتُمْ عُظَمَاءَ كَمَا قَدَّرْتَ

مَعَ هَذَا، أَتَمَنَّى لَكُمْ الْخَيْرَ

فَقَدْ يَظْهَرُ فِي ذُرِّيَّتْكُمْ جِيلٌ مُخْتَلَفٌ جَدًّا

مَنْ يَدْرِي؟³⁴

وبرغم بعض المغريات وما يدعو إلى التلهف والذوبان في مغريات الآخر بكل عوالمه فإن ما يدعو للتمسك
بالحوية والأرض والوطن أكبر:

"وَسَأَلْتُ صَدِيقَاتِكَ عَنْكَ

لَقَدْ كُنَّ فَظِيحَاتٍ فِي الْفَيْزِ

كُنَّ مُثِيرَاتٍ أَكْثَرَ مِمَّا يَحْتَمِلُ الرِّيفِيُّونَ بِدُونِ

نِفَاقٍ

وَدُعِيتُ لِأَكْثَرِ مَنْ حَفِلَ

إِنْ صَدِيقَاتِكَ جِدُّ ظَرِيفَاتٍ

لَمْ تَأْتِ

وَمُحْتَمِلًا أَنَّ بِهَاءَ مَا

شَغَلَ الْمَحْبُوبَةَ عَنِّي

لَسْتُ حَزِينًا مِنْ أَجْلِي

وَسَأَجْمَعُ ثَانِيَةً أَجْمَلَ أَزْهَارِ الرَّيفِ

لأُهِدِيهَا لَكَ فِي الْعَامِ الْقَادِمِ"35

يبقى الحلم والاستشراق بغد جميل مكونا راسخا لدى الشعراء خاصة إذا تعلق الأمر بقضايا الوطن والأرض ومسقط الرأس لذلك فقد ورد في أشعار عمار مرياش الكثير من النصوص الحاملة السارة المستشرفة الغد برؤى حاملة تدعو للفرح وانتظار الأجل كما جاء في ديوان "كتشاف العادي"

"تقريبًا، لا أعرفُ كيفَ أحُبُّك...

أَنْتِ تُدَغِدِغُنِي فِي الْعُمُقِ

وَتَمْنَحُنِي اللَّذَّةَ فَوْقَ خَرَابِ الْعَالَمِ

تَمَلُّنِي فَرَحًا

إِنَّكَ تَظْلِمُنِي حِينَ تُحْمِلُنِي

مَا لَا طَاقَةَ لِي بِهِ، حُبِّكَ

حِينَ أَعُودُ إِلَى الْغُرْفَةِ

أَسْتَلْقِي فَوْقَ سَرِيرِي لِحَظَاتٍ

أَذْهَبُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ

أَعْدُو بِكَ بَيْنَ الْأَغْصَانِ

وَ أَنْتِ تُلَاعِبُنِي"36

ومثل هذه المشاعر والرؤى الحاملة تدعو إلى الوحدة والتماسك والانفتاح على رؤى إنسانية شاسعة ووطنية عميقة تبني مستقبل الوطن وفي قصيدة الإشاعة مثال ذلك:

حيثُ الفكرةُ عَرَّافٌ أبلهٌ

واللأ معنَى سِفَرِ الحُكماءِ

جَنُوتُ

وَعَالِبِي الغَنِيَانُ

لَقَدْ كُنْتُ لِحِدِّ السَّاعَةِ مَحْضَ إِشَاعَةٍ

سَبَبٌ آخَرُ

إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَكْرَهُ

تَمَلَّأُ كَوْنِي المِيعَارِيَّاتُ وَهَذَا سَبَبِي

مَنْ صَيَّرَ أَحْلَامِي العَذْرَاوَاتِ رَمِيَّاتٍ

وَتَجَاهَلَ وَقْتِي ؟؟؟

سَبَبٌ آخَرُ

لَنْ أَبْنِي مَجْدِي بِجَمَاجِمِ خَاوِيَةٍ

لَنْ أَبْلَغَ نَفْسِي مَا دَامَ الْحُبُّ يَحُولُنِي

سَأَحْدِقُ حَتَّى أَنْفِذَ

فَالْمَاضِي يَلْتَمِسُ المُسْتَقْبَلَ

وَالْمَعْنَى

فَقَدْ الشَّيْءُ دَلَالَتَهُ وَتَمَادَى اللَّغْوُ

سبب آخر

إني مندثر جدًا...وحدك تفهمني

نتصائب.. لنعيش اللحظة مبتهجين

نتعاقى... ليزى الواحد منا الآخر فيه نقيًا

نتجاوز ذاتنا

كي نصبح ذاتًا أبدية³⁷

وفي شعر عمار مرياش برغم الشجون والمخاوف متسع للغناء.. للفرح والحلم كما في قصيدة "شبه المعنى":

"ها.. أنبثق اللحظة منفردًا

أفرد قلبًا بذراعين لأحتضن العالم

أضبط إمزادي وأغني

طوبى للأبكم

طوبى للأعوى

لا شيء جدير بك

إني حاولتُ فحسب³⁸

خاتمة:

من خلال هذه الفسحة الشعرية في تفاصيل القضايا الوطنية التي شغلت الشاعر عمار مرياش، والذي راح يمزاج فنيا وموضوعاتيا من خلال زوايا نظره المختلفة لقضاياه مع وطنه وقضايا وطنه معه ومع العالم، والتي اختصها الشاعر بكثير من الاهتمام والتحليل والقراءة والتمايز مع غيره من الشعراء في تناول اليومي الواقعي المعيش للوطن عبر مراحل مختلفة من تاريخه، وبذلك نكتشف فعلا أن عمار مرياش ظل ملتزما بقضايا الوطن برغم تغربه وبعده الجغرافي إلا أن الجزائر ظلت تسكنه.

هوامش البحث:

- ¹ - بوزينة عبد الحميد: ظاهرة التطور الأدبي ، الشركة ون.ت.الجزائر 1979، ص 41.
- ² - عبد الرزاق مصباحي: بين الالتزام و الفاعلية النقدية، ص 106.
- ³ - محمد مصايف : النثر الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب (د/ط)، الجزائر 1983
- ⁴ - عبد الرزاق مصباحي : المرجع السابق ، ص 13.
- ⁵ - أحمد طالب: الالتزام في القصة الجزائرية المعاصر، (د.م.ج)الجزائر 1989، ص 21.
- ⁶ - محمود تيمور: الأدب الهادف، المطبعة النموذجية -القاهرة-، ط 1.1959، ص 65.
- ⁷ - أنور المعداوي: كلمات في الأدب، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت- 1996، ص 36.
- ⁸ - لوسيانغولدمان: المنهجية في على الاجتماع الأدبي، ترجمة مصطفى المسناوي. دار الحداثة للطباعة والنشر و التوزيع-بيروت- لبنان-ط 1، 1981، ص 8.
- ⁹ - أنور المعداوي: خصائص الأدب العربي، دار الكتاب اللبناني بيروت، دار الكتاب المصري القاهرة (د.ط)(د.ت)، ص 32.
- ¹⁰ -محمد مصايف : المرجع السابق، ص 10.
- ¹¹ - محمد مصايف : المرجع نفسه ، ص 11.
- ¹² -محمد مصايف : المرجع نفسه ، ص 12.
- ¹³ - محمد مصايف : المرجع نفسه ، ص 91.
- ¹⁴ - أحمد طالب : المرجع السابق، ص 23.
- ¹⁵ -محمد مصايف : المرجع السابق، ص 108.
- ¹⁶ -محمود الربيعي: مقالات نقدية ، مكتبة الشباب-القاهرة- (د.ت) ، ص 74.
- ¹⁷ -جمال بلعربي، التقديم ديوان اكتشاف العادي، ص 11.
- ¹⁸ -التقديم، ص 12.
- ¹⁹ -التقديم ، ص 13.
- ²⁰ -عمار مرياش: اكتشاف العادي، ص 07.
- ²¹ -جمال بلعربي، التقديم، ص 14.
- ²² -جمال بلعربي: التقديم، ص 22.
- ²³ -عمار مرياش: المصدر السابق، ص 24.
- ²⁴ -المصدر نفسه، ص 36.
- ²⁵ - المصدر نفسه، ص 27.
- ²⁶ - المصدر نفسه، ص 24.
- ²⁷ - المصدر نفسه، ص 25.
- ²⁸ - المصدر نفسه، ص 26.
- ²⁹ - المصدر نفسه، ص 31.
- ³⁰ - المصدر نفسه، ص 32.
- ³¹ - المصدر نفسه، ص 37.
- ³² - المصدر نفسه، ص 39.

- ³³ - المصدر نفسه، ص 61.
- ³⁴ - المصدر نفسه، ص 55.
- ³⁵ - المصدر نفسه، ص 28.
- ³⁶ - المصدر نفسه، ص 29.
- ³⁷ - المصدر نفسه، ص 40.
- ³⁸ - المصدر نفسه، ص 43.